بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على أشرف أنبيائه المرسلين و حبيب إله العالمين محمد و عترته الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، و اللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

«المتشابه في القرآن»

من البحوث المهمة و المسائل المعقدة هي مسألة «المتشابه في القرآن»، و قد تناول علم التفسير و علم علوم القرآن المسألة من القديم بالبحث و التنقيب، و لأهمية موضوع المتشابه من نواحي مختلفة فقد أفرد لها بعض العلماء رسائل بالبحث و التحليل.

❖ وجود المتشابه في القرآن.

لا مجال للشك في اشتمال القرآن على نوع من الآيات سماها القرآن الكريم متشابهاً، و قد نص عليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

(١) آل عمران: ٧.

و البحث حول المتشابه يقع في عدة نقاط:

- **النقطة الأولى**: في معنى المحكم و المتشابه.
- **النقطة الثانية**: ما معنى أمومية المحكمات من آيات الكتاب؟
- **النقطة الثالثة**: موقف أهل البيت عليهم السلام من المتشابه.
- **النقطة الرابعة**: النتائج و الآثار المترتبة على الأخذ بالمتشابه.
- **النقطة الخامسة**: لماذا وقع المتشابه في القرآن؟ و لماذا لم تكن كل آياته محكمات؟

❖ **النقطة الأولى: معنى المحكم و المتشابه.**

- **أما الإحكام**: فهو الإتقان يوصف به الكلام لدلالته الواضحة بحيث لا يحتمل وجوها من المعاني الأخرى.

مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢].

فإن هذه الآية واضحة الدلالة على المعنى المراد و هو حكمه و إلزامه جل و علا بأن لا تكون العبادة إلا له، كما و ألزم تعالى بالإحسان للوالدين، فهذه الآية من المحكمات و هي كثيرة جداً بل هي الأساس و الأصل في القرآن الكريم كما أخبر عن ذلك جل و علا بقوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

- **و أما المتشابه**: فهو اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني، و كان موضع ريب و شبهة، و هو مأخوذ من متشابه الوجوه أي تماثلها مع بعضها البعض بحيث يتحمل وجوهاً من المعاني.

---

(٢) الإسراء: ٢٣.

قال الراغب في مفرداته: (فالمحكم ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى)[٣].

و قال أيضاً: (والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده)[٤].

و قد ذكرت كلمات العلماء عدة تعاريف للمحكم و المتشابه و التفريق بينهما، حتى أن بعضهم عد الناسخ و المنسوخ من المتشابه، و بعضهم عد التكرار كما في قصة نبي الله موسى عليه السلام من المتشابه، و بعضهم قال إن المحكم ما يعمل به و المتشابه الذي يؤمن به و لا يعمل به.

و هذه الأقوال كلها ضعيفة، فمثلاً جعل الناسخ و المنسوخ من المتشابه غير واضح و لا دليل عليه سوى أن المنسوخ بعد مجيء الناسخ له لا يجوز العمل به كالمتشابه، و هذا المقدار من اشتراك المنسوخ مع المتشابه في النتيجة و هو عدم جواز العمل به لا يبرر اعتباره من المتشابه بعد وضوح المقصود من المتشابه و اتضاح دلالة المتشابه.

و هكذا جعل تكرار الآية لا يسوغ عده من المتشابه بعد اتضاح دلالة الآيات المتكررة و لو خفي علينا وجه التكرار.

و أما تعريف المتشابه بأنه ما وجب الإيمان به دون العمل به فهذا ليس تعريفاً حقيقياً للمتشابه، بل هو أخذ النتيجة من التعريف و أن نتيجة المتشابه أنه لا يجوز العمل به و لكن

(٣) المفردات في غريب القرآن، ص١٢٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٢٥٤.

يجب الإيمان به، و أن هذه الآيات المتشابهة في القرآن و الوحي المنزل على قلب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، و هذا ليس تعريفاً للمتشابه و إنما هو نتيجة المتشابه هذه.

فإذن ليس شيء من هذه الأقوال يصلح تعريفاً للمتشابه، و السيد العلامة الطباطبائي قدس سره أفاد أن معنى المتشابه – بعد أن تعرض للأقوال في المتشابه و أنها إلى ستة عشر قولاً في بيان معنى المتشابه – قال: (وأن الذي تعطيه الآية في معنى المتشابه أن تكون الآية مع حفظ كونها آية دالة على معنى مريب مردد، لا من جهة اللفظ بحيث يعالجه الطرق المألوفة عند أهل اللسان كإرجاع العام والمطلق إلى المخصص والمقيد ونحو ذلك، بل من جهة كون معناها غير ملائم لمعنى آية أخرى محكمة لا ريب فيه تبين حال المتشابهة)[٥].

و هذا التعريف جيد جداً و هو أصح هذه التعاريف، و ذلك لأن المعنى قد يكون واضحاً بحسب دلالة الألفاظ، و أن المعنى يتحصل من الألفاظ، و لكن هذا المعنى مع وضوح دلالة اللفظ عليه إلا أن معنى فيه ريب.

و توضيح رأي العلامة الطباطبائي قدس سره أن البعض اعتبر المتشابه ما كان دلالة لفظ على المعنى غير واضحة أو تردد اللفظ بين عدة معاني و احتمالات، و المحكم هو ما كانت دلالة الألفاظ على معانيها واضحة و المعنى المقصود واضح، مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٦]، فإن دلالة اللفظ على المعنى و هو طلب فعل الصلاة واضح و لا إجمال أو تردد فيه، فتكون هذه الآية من المحكم،

(٥) تفسير الميزان ج٣، ص٤١.

(٦) البقرة: ٤٣.

أما مثل الحروف المقطعة حيث أن دلالتها على المعنى غير واضح، و تردد هذه الحروف بين عدة معانٍ فتكون هذه من المتشابه.

و لكن السيد العلامة الطباطبائي قدس سره أفاد أن المتشابه من الآيات هو ما كان من اللفظ فيه ريب من جهة عدم انسجام هذا المعنى الظاهر مع الآيات القرآنية الأخرى، و لنضرب لذلك مثالين:

❖ **المثال الأول**: فقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٧]، فهذه الآية تقر بأن الذات المقدسة لا يمكن أن يقع عليها البصر، لا من جهة مانع يمنع من الرؤية بل ذاته لا يقع عليها البصر و يمتنع رؤيته لذاته، و ذلك لأنه ليس بمادي حتى يرى، فهي تدل على تجرده عن المادة و لوازم المادة فلذلك لا يكون قابلاً للرؤية.

و هناك آيات دلت بحسب ألفاظها على كون ذاته جل و علا قابلة للرؤية، كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[٨]، مما يدل بظاهره على قابلية الذات المقدسة للرؤية.

أو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٩]، مما يدل بظاهره على أنه جسم و له استواء كاستواء الأجسام، و هذه الآية بحسب اللفظ واضحة الدلالة لا غموض فيها من حيث

---

(٧) الأنعام: ١٠٣.

(٨) القيامة: ٢٢ و ٢٣.

(٩) طه: ٥.

الألفاظ، و لكنها متشابهة و ذلك لأنها لا تنسجم مع الآيات الدالة على نفي الجسمانية عن ذاته جل جلاله.

فإذن المتشابه ليس ما كانت ألفاظه غير واضحة، بل ما كان غير منسجم مع كونه آية في القرآن مع الآيات الأخرى.

❖ **المثال الثاني**: أثنى ذات الحق جل و علا على نبيه ﷺ بعظيم الثناء فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٠]، و ترجمة هذه الآية: أنه ليس في سلوكك و أفعالك يا رسول الله محلاً و مورداً للعتاب، فإنك يا رسول الله على خلق عظيم.

و جاء في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عتاب، فلو كان المقصود بالمخاطب هو شخص النبي ﷺ لم ينسجم ذلك مع توصيفه بأنه على خلق عظيم، و أنه ليس في أفعاله و سلوكه مورد و محل للعتاب، فتعتبر هذه الآية لو كان المقصود منها شخص النبي ﷺ متشابهة لعدم انسجامها مع قوله تعالى و توصيفه للنبي ﷺ بـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فالنتيجة: أن المتشابه ليس هو ما لم يتضح المقصود منه بحسب الألفاظ كأوائل السور، بل المقصود منه مع كونه آية قرآنية لا ينسجم مع الآيات القرآنية الأخرى.

---

(١٠) القلم: ٤.

❖ **النقطة الثانية: ما معنى أمومية المحكمات من آيات الكتاب؟**

و هنا للعلماء ثلاثة أقوال:

- **القول الأول**: الأمومة بمعنى كون الآيات المحكمات أصلاً في الكتاب و عليه تبتني قواعد الدين و أركانه فيؤمن بها و يعمل بها، و ليس الدين إلا مجموعاً من الاعتقاد و العمل، و أما الآيات المتشابهة فهي لتزلزل مرادها و تشابه مدلولها لا يعمل بها بل إنما يؤمن بها إيماناً.
و مخلص هذا القول أن المتشابه يؤمن به على أنه من القرآن الكريم، و لكن لا يُعمل به و لا يُؤسس عليه معارف و لا أحكام و لا يستنبط منه شيء.

- **القول الثاني**: أن معنى أمومة المحكمات رجوع المتشابهات إليها، و قال سيدنا العلامة الطباطبائي قدس سره: (وكلامهم مختلف في تفسير هذا الرجوع فظاهر بعضهم أن المراد بالرجوع هو قصر المتشابهات على الايمان والاتباع العملي في مواردها للمحكم كالآية المنسوخة يؤمن بها ويرجع في موردها إلى العمل بالناسخة)[11].
و سيدنا العلامة الطباطبائي قدس سره أرجع هذا القول إلى القول الأول، و أنه لا مغايرة كثيرة بين القولين و النتيجة بينهما واحدة، و مقصوده أعلى الله مقامه و رفع في الجنان أعلامه أن النتيجة من القولين أن المتشابه لا يمكن لنا أن نستفيد منه لا علماً و لا عملاً، أما عملاً فواضح حيث أنه لا يجوز أن يعمل به أو يؤخذ منه حكماً أو يؤسس عليه معرفة أو يستنبط

(١١) تفسير الميزان، ج٣، ص٤٣.

منه شيء، و أما علماً فلماذا لا يمكن أن لا يستفاد منه؟ و هل إجماله يعني تعطل دلالته أصلاً؟

و من هنا رجح السيد العلامة قدس سره الرأي الثالث و هو:

- **القول الثالث**: أن معنى الأمومة أي أمومة الآيات المحكمات، كون المحكمات مبينة للمتشابهات دافعة لتشابهها.

ثم يوضح العلامة قدس سره رأيه هذا بأن الأمومة تستبطن معانٍ، فهي قد تعني أصل التنشئة، و قد تعني اشتقاق شيء من شيء، و قد تعني التبعض أي كون الشيء بعض من شيء آخر فيكون هذا الشيء الآخر هو الأم.

فالآيات المحكمات تنشأ من دلالتها المتشابهات أو تشتق دلالتها من المتشابهات، أو تكون المحكمات تتبعض منها معرفة المتشابه.

فإذن الأمومة للمحكمات على المتشابهات أن للمتشابهات مداليل ترجع و تتفرع على المحكمات، و لازمه كون المحكمات مبينة للمتشابهات.

و الخلاصة: لا يعني كون الآية متشابهة تعطيل دلالتها، بل هي بعد إرجاع دلالتها للمحكم تتضح دلالتها و يتضح مفهومها، فمثلاً الآيات التي يظهر منها التجسيم بعد إرجاعها إلى المحكم يكون لها معنى آخر، فيكون المراد من الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[١٢] هو الإحاطة التامة، كما في قول الشاعر:

---

(١٢) طه: ٥.

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

و معنى اليد القوة، و معنى الوجه هو الرحمة.

و هنا مطلب لطيف أشير إليه، قال (قده): (فللمتشابه مفسر وليس الا المحكم مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١٣] فإنها آية متشابهة، وبإرجاعها إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١٤] وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[١٥] يتبين : أن المراد بها نظرة ورؤية من غير سنخ رؤية البصر الحسي، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢)﴾[١٦] إلى أن قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾[١٧] فأثبت للقلب رؤية تخصه وليس هو الفكر، فإن الفكر إنما يتعلق بالتصديق، والمركب الذهني والرؤية إنما تتعلق بالمفرد العيني، فيتبين بذلك أنه توجه من القلب ليست بالحسية المادية ولا بالعقلية الذهنية والأمر على هذه الوتيرة في سائر المتشابهات)[١٨].

(١٣) القيامة: ٢٣.

(١٤) الشورى: ١١.

(١٥) الأنعام: ١٠٣.

(١٦) النجم: ١١ و ١٢.

(١٧) النجم: ١٨.

(١٨) تفسير الميزان، ج٣، ص٤٣ – ٤٤.

❖ **النقطة الثالثة: موقف أهل البيت عليهم السلام من المتشابه.**

للتعرف على موقف أهل بيت العصمة و الطهارة عليهم السلام من المتشابه نرجع إلى الروايات الصادرة عنهم، و ذلك لأنهم صلوات الله عليهم حملة أسرار الكتاب، و العارفون به ناسخه من منسوخه، محكمه من متشابهه، العالمون بتأويله.

و قد جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: (..... والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن أنزلت ولا أحد ممن مر على رأسه المواسي من قريش الا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار ....)[١٩]، و في الكافي الشريف (..... إنما يعرف القرآن من خوطب به)[٢٠]، و قول الصادق عليه السلام لأبي حنيفة بعدما سأله (..... يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته؟ وتعرف الناسخ والمنسوخ؟، قال: نعم، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً، ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله ما ورثك الله من كتابه حرفاً ...)[٢١].

فمن الضروري الرجوع في المعارف القرآنية إلى أهل البيت عليهم السلام حتى تكون لتلك المعرفة صورة متكاملة و صحيحة، لأنهم العدل و المفسر للقرآن فمن دون الرجوع لهم تكون المعرفة المستنبطة ناقصة و صورتها غير متكاملة.

---

(١٩) بصائر الدرجات، ص٩، باب قول أمير المؤمنين عليه السلام بإحكامه بما في التوراة و الإنجيل والزبور والفرقان.

(٢٠) الكافي، ج٨، ص٣١٢.

(٢١) علل الشرائع، ج١، ص٩٠، ح٥، باب ٨١.

و عند الرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام في قضية المتشابه نجد الموقف المتشدد من قبلهم عليهم السلام على الآخذ بالمتشابه، فروى الكليني و العياشي عن الصادق عليه السلام قال: (قال أبي عليه السلام: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر)[٢٢]، و قد صرح بعض العلماء بأن المراد من ضرب القرآن بعضه ببعض تأويل بعض متشابهاته إلى بعض بمقتضى الرأي و الهوى من دون السماع من أهله و نور الهدى من الله، و هو صحيح لأن المراد من الضرب هو إيجاد حالة من التناقض في القرآن من خلال التمسك بالمتشابه من دون رده إلى المحكم، و الأخذ بالمتشابه هو إيجاد صورة للتناقض و التعارض في القرآن.

و روى النعماني في تفسيره بإسناده عن إسماعيل قال: (سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول: أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله فختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب، فلا كتاب بعده أحل فيه حلالاً وحرم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم، وجعله النبي صلى الله عليه وآله علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان وعدلوا عنهم ثم قتلوهم، واتبعوا غيرهم ثم أخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم، قال الله سبحانه: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ وذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره إذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا وأضلوا، واعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز

(٢٢) الكافي، ج٢، ص٦٣٢، ح١٧، باب النوادر. و تفسير العياشي ج١، ص١٨، ح٢، باب كراهية الجدال في القرآن.

وجل الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن، والابتداء والانتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه والجار فيه والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد، والمؤكد منه والمفصل، وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده، **فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله، ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم وبئس المصير)**[٢٣].

❖ **النقطة الرابعة: النتائج و الآثار المترتبة على الأخذ بالمتشابه.**

الآية الكريمة بينت موقف طائفتين من الناس حول المتشابه:

- **موقف الراسخون في العلم**: فهم يؤمنون به و يقولون هو من عند الله.
- **موقف من في قلوبهم زيغ**: فهم يعملون بالمتشابه لسببين:
  - **الأول**: فتنة المؤمنين و إيجاد حالة الاختلاف بينهم.
  - **الثاني**: أخذهم دوراً ليس لهم و هو تأويله.

(٢٣) تفسير الميزان، ج٣، ص٨١ – ٨٢.

و الآية المباركة تشير إلى نتائج خطيرة مترتبة على العمل بالمتشابه، و أن من يعمل به ينطلق من دوافع سيئة و ليست دوافع بريئة و سليمة.

و لا شك أن الأخذ بالمتشابه و الإصرار على تأسيس معرفة قرآنية عليه ينشأ منه مفاسد كثيرة، و تترتب عليه أزمات و ينتج عنه تعقيد لواقع الأمة مما يؤدي إلى تشتتها و تفرقها و اختلافها في كتاب ربها و وصول الأمر إلى حالة التحزب، قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٢٤].

❖ **النتيجة الأولى**: الاختلاف الفكري و العقدي.

من الواضح لمن يتتبع ظهور الاتجاهات الفكرية العقدية يجد أنها في مقولاتها و مبانيها الفكرية تتمسك بالآيات القرآنية، و ترجع إلى القرآن في الاستدلال على صحة عقيدتها و فكرها، فالقائل بالتجسيم يجد في ما ظاهره ذلك مبتغاه و حجته، و القائل بالتفويض يجد في بعض آيات القرآن متمسكه، و من ينقص الأنبياء عن مقامهم يرى بعض الآيات ما يثبت زعمه، و هكذا كل الفرق التي انحرفت عن جادة الحق و نور الهدى أخذت بآية متشابهة و بنت عليها و أسست عليها أصول مذهبها، مما نتج عن ذلك تعدد الفرق و تنوع المذاهب مع كون الدين واحد و الرب واحد و الرسول واحد، و ما هذا الاختلاف جاء من الدين، و إنما الاختلاف في أمر الدين الذي نهى عنه القرآن الكريم ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٢٥]، و في الأخذ بالمتشابه من دون رده إلى المحكم بمقتضى أمومته على المتشابهات ينشأ منه الاختلاف و

(٢٤) الروم: ٣٢.

(٢٥) الأنعام: ١٥٣.

التمزق، ففي عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام أنه قال: (من رد متشابه القرآن إلى محكمة هدى إلى صراط مستقيم، ثم قال: إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا)[٢٦].

و هنا كلام جميل لسيدنا العلامة الطباطبائي قدس سره قال رحمه الله: (أنت إذا تتبعت البدع والأهواء والمذاهب الفاسدة التي انحرف فيها الفرق الاسلامية عن الحق القويم بعد زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان في المعارف أو في الأحكام، وجدت أكثر مواردها من اتباع المتشابه والتأويل في الآيات بما لا يرتضيه الله سبحانه، ففرقة تتمسك من القرآن بآيات للتجسيم وأخرى للجبر وأخرى للتفويض، وأخرى لعثرة الأنبياء وأخرى للتنزيه المحض بنفي الصفات، وأخرى للتشبيه الخالص وزيادة الصفات إلى غير ذلك، كل ذلك للأخذ بالمتشابه من غير إرجاعه إلى المحكم الحاكم فيه).[٢٧]

فهذا هو أحد معانِ الفتنة.

❖ **النتيجة الثانية**: الغواية و الضلال.

أحد عوامل النهي عن اتباع المتشابه هو الإيقاع في الضلال و الزيغ و هو الميل عن الاستقامة، و لا شك في ترتب هذه النتيجة إذا أخذ بالمتشابه فتنتهي به إلى الاعتقاد بالتجسيم و الجبر و التفويض و القول بمعصية الأنبياء عليهم السلام و عثرتهم.

---

(٢٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ٢٦١.

(٢٧) تفسير الميزان، ج٣، ص٤١.

❖ **النتيجة الثالثة**:

و هي أن في عملية الأخذ و العمل بالمتشابه من دون إرجاعه إلى محكمات الكتاب تمييع و تضييع لأحكام شريعة الدين، و تُكوِّن فهم خاطئ للكثير من تفاصيل الشريعة، فناك من يحاول أن يفهم الدين من خلال مرحلة من الزمن، و نقصد بذلك أن البعض يحاول أن يفهم الدين أنه قد جاء لمرحلة من حياة الإنسان، و هو إنسان ماءه الشرب و وسيلته الحمار و سلاحه السيف و الرمح، و ليس إنسان المكيف و الثلاجة و إنسان الطائرة و المركبة الفضائية و الصاروخ و غيرها، فإنما جاءت الشيعة لذلك الإنسان و ليس للإنسان الذي وصل إلى المستوى المتقدم من العمران و التمدن و الحياة المتقدمة مادياً.

يقول سيدنا العلامة الطباطبائي قدس سره: (و طائفة ذكرت: أن الاحكام الدينية إنما شرعت لتكون طريقاً إلى الوصول، فلو كان هناك طريق أقرب منها كان سلوكه متعيناً لمن ركبه فإنما المطلوب هو الوصول بأي طريق اتفق وتيسر، وأخرى قالت: إن التكليف إنما هو لبلوغ الكمال ولا معنى لبقائه بعد الكمال بتحقق الوصول فلا تكليف لكامل، وقد كانت الأحكام والفرائض والحدود وسائر السياسات الاسلامية قائمة ومقامة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشذ منها شاذ، ثم لم تزل بعد ارتحاله صلى الله عليه وآله تنقص وتسقط حكماً فحكماً يوماً فيوماً بيد الحكومات الإسلامية، ولم يبطل حكم أو حد إلا واعتذر المبطلون أن الدين إنما شرع لصلاح الدنيا وإصلاح الناس وما أحدثوه أصلح لحال الناس اليوم، حتى آل الامر إلى ما يقال إن الغرض الوحيد من شرائع الدين إصلاح الدنيا بإجرائها، والدنيا اليوم لا تقبل السياسة الدينية ولا تهضمها، بل تستدعى وضع قوانين ترتضيها مدنية اليوم وإجرائها، وإلى ما يقال إن التلبس بالأعمال الدينية لتطهير القلوب وهدايتها إلى الفكرة والإرادة الصالحتين والقلوب المتدربة بالتربية الاجتماعية

والنفوس الموقوفة على خدمة الخلق في غنى عن التطهر بأمثال الوضوء والغسل والصلاة والصوم، إذا تأملت في هذه وأمثالها وهي لا تحصى كثرة وتدبرت في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ الآية لم تشك في صحة ما ذكرناه، وقضيت بأن هذه الفتن والمحن التي غادرت الإسلام والمسلمين لم تستقر قرارها إلا من طريق إتباع المتشابه وابتغاء تأويل القرآن، و هذا والله أعلم هو السبب في تشديد القرآن الكريم في هذا الباب وإصراره البالغ على النهي عن إتباع المتشابه وابتغاء الفتنة والتأويل والإلحاد في آيات الله والقول فيها بغير علم واتباع خطوات الشيطان، فإن من دأب القرآن أنه يبالغ في التشديد في موارد سينثلم من جهتها ركن من أركان الدين فتنهدم به بنيته، كالتشديد الواقع في تولي الكفار ومودة ذوي القربى وقرار أزواج النبي ومعاملة الربا واتحاد الكلمة في الدين وغير ذلك)[٢٨].

❖ النقطة الخامسة: لماذا وقع المتشابه في القرآن؟ و لماذا لم تكن كل آياته محكمات؟

قال الفخر الرازي: (اعلم أن من الملحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه، فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[٢٩]، والقدري يقول: بل هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا

(٢٨) تفسير الميزان – العلامة الطباطبائي – ج٣، ص٤١ – ٤٢.

(٢٩) الأنعام: ١٠٣.

إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾[٣٠]، وفي موضع آخر: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[٣١]، وأيضاً مثبت الرؤية يتمسك بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣٢]، والنافي يتمسك بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٣٣]، ومثبت الجهة يتمسك بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[٣٤] وبقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[٣٥]، والنافي يتمسك بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣٦]، ثم إن كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه: محكمة ، والآيات المخالفة لمذهبه: متشابهة، وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذي هو المرجوع إليه في كل الدين إلى قيام الساعة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهراً جلياً نقياً عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض)[٣٧].

و من هنا ذكرت عدة أجوبة:

❖ **الجواب الأول**: ما ذكره ابن رشد الأندلسي – الفيلسوف الكبير – حيث صنف الناس إلى ثلاثة أصناف: صنف العلماء وعنى بهم من في طبقته من أرباب الحكمة العالية، وصنف

---

(٣٠) الأنعام: ٢٥.

(٣١) الإسراء: ٤٦.

(٣٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣٣) الأنعام: ١٠٣.

(٣٤) النحل: ٥٠.

(٣٥) طه: ٥.

(٣٦) الشورى: ١١.

(٣٧) تفسير الرازي، ج٧، ص١٨٣ – ١٨٤.

الجمهور وهم عامة الناس ممن لم يحظوا بحلى العلم شيئاً، وصنف بين بين لا هم في مستوى العلماء و لا مع العامة، و عنى بهم أرباب المذاهب الكلامية من الأشعار و أصحاب الاعتزال.

قال في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة - بتصرف منا و توضيح -: (وهذا الصنف الأخير، هم الذين يوجد في حقهم التشابه في الشرع، وهم الذين ذمهم الله تعالى، وأما عند العلماء فليس في الشرع تشابه، لأنهم يعرفون من كل آية وجه تخريجها الصحيح الذي قصده الشرع، و أما الجمهور لا يشعرون بالشكوك العارضة، بعد أن كانوا أخذوا بالظواهر واستراحوا إليها من غير ترديد).

و خلاصة رأي ابن رشد أن التشابه ليس موجود في القرآن، و إنما التشابه حصل نتيجة تعامل شريحة من الناس و هم أرباب المذاهب الكلامية مع آيات القرآن الكريم فوقع التشابه، و لكن هذا الرأي يدفعه ظاهر القرآن الكريم حيث عبر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[٣٨]، فظاهر الآية أن القرآن في نفسه توجد متشابهات لا نتيجة تعامل فئة من الناس ولّد المتشابه.

❖ **الجواب الثاني**: أنها نوع من الامتحان للإنسان فهو كما يمتحن بالتكاليف ليميز المطيع من العاصي، و الامتحان بالبلاء و المصائب ليميز الصابر من الجازع، كذلك وجد المتشابه كحالة امتحان للإنسان ليميز من يلتزم ما أمره الله به من الرجوع في المتشابه إلى المحكم

(٣٨) آل عمران: ٧.

بعد رد ذلك إلى العلماء ليعرفوا و يردوا متشابهات القرآن إلى محكماته، أو يشغلون من قبل أنفسهم بالعمل بالمتشابهات من أجل الفتنة و الاختلاف.

❖ **الجواب الثالث**: و توضيحه يحتاج إلى مقدمة:

أن البشرية لا يمكن أن يصلح شأنها إلا بالمعصوم، و لا تستقيم شؤونها إلا من خلال حجة لله في الأرض و هو المعصوم، فيتبعونه و يقتدون به و يمتثلون أوامره و يأخذون منه معالم دينهم و أحكامه و معارفه، و من دونه يقعون في نتائج خطيرة تخرجهم من الهدى و الاستقامة إلى الضلال و الانحراف، و وجود هذا الإمام المعصوم مع القرآن هو سبيل سعادة الإنسان في الدارين.

و من أجل تأكيد الحاجة إلى الإمام المعصوم و ضرورة ارتباط الناس به اقتضت الحكمة الإلهية إيجاد أكثر من مبرر لربط الإنسان بهذه الحقيقة، و من هذه الحقائق احتياج الناس إلى الإمام في تفسير القرآن الكريم من حيث بيان العام و الخاص، و المطلق و المقيد، و الناسخ و المنسوخ، و المحكم و المتشابه، فلذا وجدت هذه الأمور في القرآن و اشتمل عليها لكي يدركوا ضرورة حاجتهم لوجود الإمام المعصوم عليه السلام، فيرتبطوا به و يسلموا له و يأخذون أحكامهم و معالم دينهم منه و يطيعونه في ما يأمرهم و ينهاهم و بذلك يسعدوا في الدنيا و الآخرة.

و إلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات و هي على أقسام و مجموعات:

- **القسم الأول**: ما دل على أن فهم القرآن مختص بأهل البيت عليهم السلام و لا يدعي أحدٌ علم القرآن إلا كاذب و هي بألسنة متعددة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (.... ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب)[٣٩]، و عن الإمام الصادق عليه السلام: (..... وإنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بآرائهم ، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء ونبذوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وراء ظهورهم)[٤٠].

- **القسم الثاني**: الروايات الدالة على معرفة العام و الخاص و المجمل و المبين و المحكم و المتشابه و المطلق و المقيد، و هذا ما يظهر من احتجاج الإمام الصادق عليه السلام مع أبي حنيفة: (..... قال عليه السلام: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته؟ وتعرف الناسخ والمنسوخ؟، قال: نعم، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وما ورثك الله من كتابه حرفاً....)[٤١] و في حديث احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على الصوفية لما احتجوا عليه بآيات من القرآن في الايثار والزهد، قال عليه السلام: (ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه الذي في مثله ضل من ضل وهلك من هلك من هذه الأمة؟، فقالوا: أو بعضه فأما كله فلا، فقال عليه السلام لهم: فمن ههنا أتيتم، وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن قال: فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله

---

(٣٩) وسائل الشيعة، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي و ما يقضي به، ح٣٧.

(٤٠) وسائل الشيعة، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي و ما يقضي به، ح٦٢.

(٤١) وسائل الشيعة، باب ٦ من أبواب صفات القاضي و ما يقضي به، ح٢٧.

وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل، وردكم إياها لجهالتكم وتركركم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي إلى أن قال عليه السلام: دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردوا العلم إلى أهله توجروا وتعذروا عند الله، وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابه، وما أحل الله فيه مما حرم، فإنه أقرب لكم من الله، وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها، فان أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل ، وقد قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾)[٤٢].

و من ذلك كله يتضح أن جعل القرآن بأسلوب خاص يحتاج في جملة من مراداته إلى الإنسان المعصوم و غيره لا يمكن أن يكون فهمه حجة، مما يدل على أن الحكمة في ذلك ربط الناس بالمعصوم و عدم استغنائهم عنه في معرفة أحكام القرآن، كما يتضح أن الناس لا تستقيم أمورهم إلا بوجود الإنسان المعصوم، و إلى ذلك يشير الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (.... وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤٣]، وبقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[٤٤]، وبقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤٥] وبقوله: ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [٤٦]، وبقوله: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

(٤٢) وسائل الشيعة، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي و ما يقضي به، ح٢٣.

(٤٣) النساء: ٥٩.

(٤٤) النساء: ٨٣.

(٤٥) التوبة: ١١٩.

(٤٦) آل عمران: ٧.

أَبْوَابِهَا﴾[٤٧]، والبيوت هي بيوت العلم التي استودعها الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم، فكل عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي الأوصياء وعهودهم وحدودهم وشرائعهم وسننهم ومعالم دينهم مردود غير مقبول، وأهله بمحل كفر وإن شملهم صفة الايمان، ثم إن الله قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل المستولين على ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الائتمام بمن ولى أمرهم فاستكبروا عن طاعته)[٤٨].

حرره العبد الفقير

محمود بن الحاج حسن آل الشيخ العالي

(٤٧) البقرة: ١٨٩.

(٤٨) وسائل الشيعة، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي و ما يقضي به، ح٤٤.